طقوس الطهارة والتعميد في موقع عماد السيّد المسيح خلال العصر البيزنطي

نور محمد نوري زيادات [1]

https://doi.org/10.35516/jjha.v19i1.1212

ملخص

تكمنُ أهمية هذهِ الدراسة في تعرُّفِ ماهيَّة التعميد والغاية منه، وتسليط الضَّوء على الأماكنِ التي مورست فيها طقوس التعميد والطهارة في موقعِ عماد السيّد المسيح (عيسى عليهِ السلام) خلال العصر البيزنطي، الذي يقعُ شرقي نهر الأردن حاليًا، وذلك من خلالِ عرض للمصادرِ الطبيعية التي مورست فيها هذه الطقوس، مثل نبع عين نون، والمنشآت المعمارية من أحواضٍ وآبارٍ لتجميع المياه، التي كانت الغاية من تصميمها إجراء طقوس العماد للذين يريدون اعتناق الديانة المسيحيَّة، كما ستقفُ الدراسةُ على المقصود بالتعميد لغةً واصطلاحًا، إضافةً إلى رواياتِ المؤرِّخين والرحالة، التي تناولت في طيّاتِها مواقع التعميد شرقي نهر الأردن خلال العصر البيزنطي.

الكلمات الدالة: التعميد، الحضارات القديمة، كتب الرحالة، المنشآت المعمارية، عين نون.

المقدّمة

تتناول الدراسة طقوس التعميد والطهارة خلال العصر البيزنطي، في موقعِ عماد السيّد المسيح (المغطس)، ولا سِيَّما أنَّ هذا الطقس يُعَدُّ رُكنًا أساسيًّا لمن يريدُ اعتناق الديانة المسيحيَّة، وقد انتشرت طقوس التعميد بشكلٍ كبير خلال هذا العصر، ويعودُ سبب ذلك إلى اعتناقِ البيزنطيين للمسيحيَّة واعتبارها الدين الرسمي للدولةِ، وتهدفُ الدراسة إلى معرفةِ ماهية التعميد وكيفيته في الديانةِ المسيحيَّة، وتناول كتب الرحالة والمؤرِّخين الذين تطرَّقوا لموضوعِ التعميد خلال العصر البيزنطي، الذي هو موضوع الدراسة هنا، وكذلك الحديث عن مواقعِ التعميد التاريخية الأثرية، التي مورست فيها طقوس التعميد خلال العصر البيزنطي في موقعِ عماد السيّد المسيح شرقي نهر الأردن ؛ حيث صُمِّمَ العديد من بركِ التعميدِ من أجلِ هذه الغاية.

وتكمنُ المشكلة الرئيسة للدراسةِ في قلَّةِ المصادر والمراجع التي تناولت مواقع ممارسة طقوس التعميد خلال العصر البيزنطي، فأغلب الدراسات والأبحاث تعرَّضت لطقوسِ التعميد بناءً على السردِ التاريخي ووصف ظاهرة التعميد سواء كان ذلك في العهد القديم (التوراة) أو في العهدِ الجديد (الإنجيل) أو كتابات رجال الدين المسيحي أو المؤرِّخين.

التمهيد

ارتبطَ الماء بطقوسِ التعميد والطهارة لما له من رمزيةٍ غنيةٍ جدًّا يمكن تصنيفها في ثلاثِ مجموعات رئيسة، هي: أنّ الماء مصدرٌ للحياةِ، ووسيلة للتطهيرِ، ووسيلة للتجديد، فالمصريون القدماء يؤمنون بأنّ العالم انبثق من الماءِ النقي، فالماء

[1] قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، الأردن.

تاريخ الاستلام: 2023/5/15، تاريخ القبول: 2023/11/8.

©2025م عمادة البحث العلمي/الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

بالنسبة إليهم يعني الحياة (سيرنج 1992: 35)؛ حيثُ كان المصريون القدماء يغسلون تماثيل الآلهة التي يعبدونها، وكان كهنتهم في مصر القديمة يتطهرون بمياهِ نهرِ النيل، ويفتحون أبواب المعبد لحظةِ شروق الشمس، ويُغسلون تمثال الإله قبل أن يظهر للعامةِ من الناسِ، كما عُرِف تطهير تماثيل الآلهة وتعميدها لدى الحضارة الفينيقية، فكان الفينيقيون يطهرون آلهتهم مثل الآلهة أفروديت (Aphrodite) وباخوس (Bacchus[1]) . (سيرنج 1992: 353–354)

وفي حفلات عيد الزواج في الهند يستخدمُ رجال الدين الماء كونهُ يشكِّلُ رمزًا للطهارةِ والنقاء، كما شيدَ الهنود تماثيل لآلهتهم في المعابدِ وعلى جوانبِ الأنهار، وكذلك الأغريقِ الذين كان لهم إله للأنهارِ والبحار، يُطلق عليهِ اسم بوسيدون (Poseidon [2])، ويتبين مما سبقَ أنّ الأنهار والبحار، وكونها تُشكلُ مصدرًا للمياه، كان لها العديد من الآلهة في الحضارات القديمة، وقد جرى تشييد تماثيل لهذهِ الآلهة لما للماءِ من أهميةٍ في طقوسِ الطهارة والتعميد. (سيرنج 1992: 355–356)

أما في التوراةِ (العهد القديم) فيعتبرُ اليهود في سفرِ الخروج أنّ عبور البحر الأحمر هو صورة النبع التعميدي، فالشعب اليهودي الذي خضع للرقِ والعبودية هو صورة شعب مُتحرر بالتعميدِ من عبوديةِ الخطيئة، كذلك يعتبرُ طوفان النبي نوح، عليه السلام، صورةً للتعميدِ، فبسبب الطوفان زالت البشرية بسبب ذنوبها. (سيرنج 1992: 358)

وفي القرنِ الأول الميلادي وُجِدتّ حركات تعميدية في فلسطين، وكان الشخص في ذلك الوقت يتعمد مرات عدة في الماءِ، وهذا ما كان يفعله (الصابئة المندائيون)[3] لكن سُرعان ما اختفت الجماعات التي تُعمِد بشكلٍ مُتكرر، ومع ظهور السيِّد المسيح وتعميدهُ في نهرِ الأردن أصبح للتعميدِ رمزية وأهمية عظيمة لدى مُعتنقي الديانة المسيحيَّة، وخصوصًا خلال العصر البيزنطي، وما زال طقس التعميد مُستمرًّا حتى يومنا هذا. (سيرنج 1992: 358)

أولًا– التعريف بالتعميد

التعميد لغةً

اعتمدَ على الشيءِ توكأ، وأعمدهُ ما يُعمد عليهِ، وعمد الحائط دعمهُ، وعامود القوم سيدهم. (ابن منظور د.ت. ج33: 3097–3098)، والعمد جمع عماد، والأعمدة جمع عمود من حديدٍ أو خشب، وعمود الخباء من خشبٍ قائم في الوسطِ (الفراهيدي 2002: 227)، والعَمَدَ في الأصلِ قصد الشيء والاستناد اليهِ في العُرف خلاف السهو، والعمده ما يعتمدُ

---

(1) باخوس (Bacchus): عُرف عند الإغريق والرومان باسمِ ديونيسوس (Dionysus)، وهو كذلك نفسهُ لبير باتير (Batir Lbir) رب الخصوبة عند الرومان، وزراعة الكروم الروماني القديم، وتجمعُ الأساطير على أنهُ ابن لزيوس (Zeus)، وهو رب الخمر حامي مزارع الكروم، رب الفرح والمرح أحد ارباب الخصوبة، وكان ربًّا للمتعِ الحياتية والمشاعر العاطفية عند الإغريق والرومان. (محمود 2022: 580–581)

(2) بوسيدون (Poseidon):– هو إله البحار والأنهار، وكل ما هو مائي عُرف عند الرومان باسم نيتون، والإله بوسيدون يحمل في حربته ذات الثلاث شعب الزلزال الذي يشق بهِ الأرض والصخور، وكان سكان الأرض ينظرون للإله بوسيدون (poseidon) بوصفه رب المياه العذبة في البحيرات والأنهار والينابيع ، ورب الزراعة وقطعان الحيوانات، وأحيانًا إله البراكين، ومن الأساطير التي ارتبطت به أنّ أُمَّهُ ريا خدعت أباه كراتوس (Cratos) فأعطتهُ بدل الطفل مُهرًا صغيرًا ليبتلعهُ، ثم أخفت الطفل بين قطيع الخراف، ولعل هذا سبب ظهور بوسيدون في صورةِ الكبش أو الحصان. (السيِّد د.ت.: 33–35)

(3) الصابئة المندائيون: هم أتباع النبي يحيى بن زكريا، عليهِ السلام، وكانوا يُؤمنون بأنّ الإنسان الذي يُريد الحياة الجديدة عليهِ أن يُميت حياتهُ القديمة؛ لذا فالبعدُ الرمزي والروحي للديانةِ المندائية أنّ عملية التعميد بتغطيس الإنسان تحت الماء تعني موت الخطيئة بداخلهِ، وأنّ خروجهُ من الماءِ يعني الظهور والخروج لحياةٍ جديدةٍ تنتظرُ الإنسان. انظر إلى (Nashmi 1998: 18)

عليهِ الناس. (السمين الحلبي 1996: 121)

عمد العمود، كصبور، وهو الخشبة القائمة في وسطِ الخباء، وقيل العمد أساطين الرخام، والعماد ما يُسند بهِ والجمع عمد، وعمدهُ دعمهُ وأقامهُ، وقال الصولي في شرحِ ديوان ابي نواس: إنّ لفظ معمودية مُعرب معموذيت، بالذالِ المعجمة، ومعناها الطهارة وهو ماء أصفر للنصارى، يُقدس بما يُتلى عليهِ من الإنجيلِ، يغمِسون فيهِ ولدهم معتقدين أنهُ تطهيرٌ لهُ كالختان لغيرهم. (الزبيدي 1994: 121– 125)، وكلمة تعميد مشتقة من اليونانية (Baptiszo)، التي تعني التعميد (التغطيس في الماء). (كامل وثلاسينوس 1990: 243)

التعميد اصطلاحًا

يعني الخلاص الذي تم في المسيحِ، فالخلاص عند المسيحيين قد تحقق بموتِ وقيامة المسيح كلمة الله المتجسدة في تاريخِ البشر، وللمعمودية في الاصطلاحِ الكنسي تعاريف عدة: فهي أولى الأسرار السبعة، وبدونها لا يتمُّ أيُّ سرٍّ، ولعلها من أجلِ هذا أخذت اسمَ المعمودية لأنها عماد الأسرار؛ إذ إنّ الأسرار تعتمدُ عليها، وفي قاموسِ الكتاب المقدَّس هي طقسِ الغسل بالماء، رمزًا للنقاوةِ والانضمام في طائفةً ما، وجعل التعميد بالثالوث الأقدس علامة للتطهيرِ من الخطيئةِ والنجاسة والانتساب رسميًّا للكنيسةِ، ويُصرح الله للمعتمدِ بالغفرانِ من الخطايا ومنح الخلاص، أما المعتمد فيتعهد هو أو المسؤول عنهُ بالطاعةِ لكلمةِ الله أو التكريس لخدمتهِ، بمعنى أنَّ المعمودية تختمُ وتشهدُ على اتجاهِ المؤمنين بالإيمان والنبوة وغفران الخطايا بموتِ المسيح وقيامته. (العيثاوي 2019: 3–5)

ويقول مارتن لوثر (Martin Luther) (ت 1546 م): إنّ المعمودية ليست مجرد ماء، بل هي الماء المقصود بوصيةِ الله والمرتبطة بكلمتهِ، وتعمل المعمودية على غفران الخطايا وتنجي من الموتِ والشر وتمنح الخلاص الأبدي لكل الذين يؤمنون بذلك، ومغزى المعمودية أنّ آدم –عليهِ السلام موجود في كل البشر وعندما يتعمدُ الإنسان بالماءِ تزول خطاياه ويولد من جديد ويُحال اأام الله بالبرِّ والطهارة إلى الأبد. (لوثر 1983: 22–23)

ثانيًا– موقع عماد السيّد المسيح في كتب الرحالة

تبرزُ أهمية موقع عماد السيّد المسيح من خلالِ وصف العديد من الرحالةِ والحجاج الذين زاوا الموقع، ووصفوا ما شاهدوه من معالمٍ أثريةٍ، مثل الكنائس، كما وصفوا نهرِ الأردن وكهوف الرهبان ونبع النبي يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا، عليهِ السلام)، إضافةً إلى وصفِ تل النبي إلياس الذي صعد منهُ إلى السماء، ومن أبرزِ الرحالة الذين زاروا موقع عماد السيّد المسيح ودونوا مُشاهداتهم:

أوّلًا– الرحالة ثيودسيوس (Theodosius)

يقول في رحلته: وفي هذهِ المياه الدافئة كان الناس المصابون بالجذام يغتسِلون؛ حيث تعمد السيّد المسيح، وفي هذا المكان عمودٌ رخامي وحيد، وعلى هذا العمود صليبٌ من الحديدِ تم تثبيته، وهنالك كنيسة تُسمى باسمِ يوحنا المعمدان، أمر الأمبراطور أنستاسيوس (Anastasius) ببنائها، وهي كنيسة شامخةً وبارزةً. (Theodosius 1890:14-15)

ويقول ثيودسيوس (Theodosius) إنّ هنالك كنيسةً بارزةً بُنيت فوق غرفٍ واسعةً، وفي حالِ فيضان النهر يقيمُ الرُهبان فيها، وهم يحصلون على ستةِ شلون سنويًّا من الخزينةِ للمعيشة. ويضيف الرحالة ثيودسيوس قائلًا: إنهُ بالقربِ

من مكانِ المعموديَّة تلٌّ صغير اسمُهُ حرمون، وإنَّ قبر النبي اليشع يبعدُ خمسة أميال [4] عن موقعِ عماد السيِّد المسيح، وهنالك حوضٌ ماء مقدَّس وكنيسة.

ويصف موقع (سدوم [5]) و(عمورة [6])، ويذكر وجود خمس مدن أخرى قرب البحر الميت.(Theodosius 1890:15).

يُلاحظُ من وصف ثيودسيوس (Theodosius) لموقعِ عُماد السيِّد المسيح أنهُ كان هنالك اهتمامٌ كبير بهذا الموقع خلال العصر البيزنطي، وأنَّ هنالك مخصصاتٌ من خزينةِ الدولة للرهبانِ الذين يقيمون في موقعِ معموديه السيِّد المسيح.

ثانيًا- الحاج جون موسكوس (Jhon Moschos)

ويذكرُ الحاج الرحالة جون موسكوس (Jhon Moschos) قصَّتَهُ مع رئيس الأساقفه أبي يوستورجيوس (Abba Eustorgios) في القدسِ، وقد حدثت هذه القصة في عامِ (578 م) عندما عُيِّن راهبًا للديرِ، لكنهُ قال إنهُ يُفضِّل أنّ يُصلي في جبل سيناء، فقام رئيس الأساقفه بتوديعه قبل الذهاب إلى هناك في رحلتهِ ، وأخذ رجل الدين معهُ أحد تلاميذه وعبروا نهر الأردن، وبعدها لم يستطيعوا متابعة المشي بسببِ التعب وشدة الحرارة، حيثُ لجؤوا الى كهفٍ صغير للراحةِ، ومكثوا فيه ثلاثِ ليال، وفي إحدى ليالي أقامتهم رأى الراهب جون موسكوس (Jhon Moschos) في منامهِ رجلا يقولُ لهُ: أخبرني إلى أين أنت ذاهب، فأجاب: إلى جبلِ سيناء، فقال له الرجل: أرجو منك ألا تذهب هنالك، وفي الليلةِ التالية جاءَ نفس الرجل في المنامِ وقال للراهبِ جون موسكوس: لماذا أنت مصمم على الذهابِ إلى جبلِ سيناء، أيها الرجل الكبير؟ استمعْ الي ولا تذهب هنالك، فقال الرجل الكبير: من أنت؟ فقال: أنا النبي يوحنا المعمدان، أقول لك ألا تذهب هنالك؛ فهذا الكهف الصغير أعظم من جبلِ سيناء، عدني أن تبقى هنا وأعيد لك صحتك، فوافق الراهب جون موسكوس بسرورٍ ووعدهُ أنّ يبقى بهذا الكهف فأعاد النبي يوحنا المعمدان لهُ صحتهُ مباشرةً وبقي طول حياته هناك وعمل كنيسة في الكهفِ وجمع إخوةً له. (Moschos 1992:4)

يرى الباحث أنّ اختيار الحاج جون موسكوس (Jhon Moschos) للإقامةِ في كهفِ بالقربِ من نهرِ الأردن لقداستهِ في الديانةِ المسيحيَّة، ولا سيما أنهُ المكان الذي تعمد فيهِ السيِّد المسيح عليهِ السلام، وكذلك لعبورِ هذا النهر

---

[4] **الميل (Mile)**: مسافة مد البصر، وسُمِّيت الأعلام التي توضع في الطريق أميالًا لأنها توضع على مقادير مد البصر، وهو في الشريعة يعادل ألف باع، والباع أربعة أذرع شرعية، والذراع يساوي 46،2 سنتيمترًا، والميل= 1000X 4X462=184800 سنتيمترًا، و1848 مترًا. (حلاق 2007: 71)

[5] **سدوم** (Sodom): إحدى مدن السهل الخمس التي أحرقتها النار التي نزلت من السماءِ بسبب خطيئة أهلها العظيمة، وقد ورد ذكر سدوم وعمورة للمرةِ الأولى في التوراةِ في الحديث عن حدود أرض كنعان؛ حيثُ اختارها لوط مدينةً للسكنِ بعد انفصالهِ عن إبراهيم، عليهِ السلام؛ لمعرفتهِ بخصب أرضها وسهولة الري فيها، وهاجم كدرلعومر وحلفاؤه سدوم وهزمها، فأسرع إبراهيم –عليهِ السلام– ورجاله وردوا الغنيمة المسلوبة، ولكن لوط –عليهِ السلام– عاد وسكن في سدوم، وعاودت سدوم سيرتها الأولى في الشر والبعد عن الله، فأرسل الله نارًا من السماءِ فأحرقتها، ولم ينج منها سوى لوط وابنتيه، وقد صارت خطيئة سدوم مضرب الأمثال، وكذلك صار مصيرها، وتقع سدوم تحت الماء اليوم في جنوبِ البحر الميت، وتجري المحاولات للكشفِ عن مكانها بواسطة الغواصين، الذين يغوصون تحت الماء بمعداتهم الحديثة، وقد أخذت خطيئة [السدومية] أو الشذوذ الجنسي اسمها من سدوم.(مجمع الكنائس الشرقية 1981: 461)

[6] عمورة (Gomorrah): اسم كنعاني معناه غرق، وهي بلدة في غورِ الأردن تحالف ملكها مع ملوك سدوم وبالع وأدمة وصبوييم ضد كدرلعومر ملك عيلام، إلا أنَّ ملك عيلام تغلَّب عليهم، وقد دُمِّرت عمورة ثم تدمَّرت نهائيًا بنزولِ نارٍ من السماء عليها لفساد سُكانِها، وجعل الأنبياء من تلك الحادثة برهانًا على غضب الله وأداة لتحذير بني إسرائيل من الفسادِ، وَيُظَنُّ أنها غُمرت بمياهِ البحر الميت جنوبي اللسان عند مصب وادي العسال. (مجمع الكنائس الشرقية 1981: 641.)

من قِبل الأنبياء إلياس واليشع، عليهما السلام، وكذلك لأنَّ النبي يحيى –عليهِ السلام– كان يُعَمِّدُ في هذا النهر.

ثالثًا – الرحالة آركالوف (Arculfus)

يعتبر الرحالة أركالوف (Arculfus) من الرحالةِ الذين زاروا موقع عُماد السيِّد المسيح خلال العصر البيزنطي عامِ (670 م)، يقول: إنَّ المكان المقدَّس؛ حيث تعمد السيِّد المسيح بوساطةِ النبي يوحنا المعمدان، دائمًا مُغطى بمياهِ نهر الأردن، ويرتبطُ موقع معموديةِ السيِّد المسيح بوجودِ صليب ضخم جدًّا من الخشبِ مُثبت في مكانِ التعميد يظهر عند ظهور نهر الأردن ذهابًا وإيابًا، ويقول: إنَّ الماء يصلُ إلى رقبةِ رجل طويل القامة، أو إلى مستوى الصدر في وقتِ الجفاف، أما في وقتِ الفيضانات فتغطي المياه الصليب. وأشارَ أركلوف إلى أنّ موضع الصليب رمز لمكانِ معمودية المسيح، وفي نفسِ الموضع الذي فيهِ الصليب الخشبي الضخم هنالك جسر حجري محمول على أقواسٍ حجرية، وبالقربِ من حافة النهر كنيسة صغيرة مربَّعة الشكل بُنيت في المكانِ الذي وضعَ عليهِ السيِّد المسيح رداءهُ، وكانت هذه الكنيسة مبنيةً على أربعةِ عقود من الحجارةِ فوق الماء الذي يجري أسفلها، وكانت محميةً بالجير المطفي، وبالقربِ من هذهِ الكنيسة دير النبي يوحنا المعمدان المبني على حجارةٍ مربعة الشكل . (Arculfus 1895 Vol III: 37-38)

وبالعودةِ إلى وصفِ الرحالة آركالوف نجد أنهُ مطابق للواقعِ الحالي؛ إذ توجد بقايا للقواعدِ التي كانت تحمل الأقواس، وهي حاليًّا في مكانِ عماد السيِّد المسيح، والكنيسة التي بُنيت على هذه العقود تسمى كنيسة الرداء، وهنالك بقايا للجير الذي كان يُغطي جدرانها.

رابعًا– الرحالة سيوالف (Saewulf)

وصفَ الرحالة سيوالف (Saewulf) في رحلتهِ ما بين عامي (1102 – 1103 م) مدينة أريحا والمكان الذي صام فيه السيِّد المسيح أربعين يومًا وليلة، كما وصفَ تل النبي إلياس، عليه السلام، قائلا: إنهُ بالقربِ من مكان التعميد مدينة تُدعى أريحا، فيها جميع أنواع الأشجار والمحاصيل وأرضها خصبة، وأضافَ: تقعُ بلاد العرب على الجانبِ الشرقي من نهرِ الأردن، والجانب الشرقي مقدَّس للمسيحيين (Khusrau 1893: 46).

خامسًا– الحاج أبوت دانيال (Abbot Danil)

قدم هذا الحاج من بلادِ روسيا، وذكرَ العديد من المواقعِ القريبة من مكانِ تعميد السيِّد المسيح في الفترةِ الواقعةِ ما بين عامي (1107– 1108 م)، مثل تل النبي إلياس وكهف النبي يوحنا المعمدان. يقول الحاج دانيال عن موقعِ عُماد السيِّد المسيح: إنَّ هذا المكان للاستحمامِ في الأردن، وإنّ جميع المسيحيين يزورونه، وقد كان قبل ذلك مكانًا مهمًّا لمعتنقي الديانة اليهودية، ويعودُ سبب ذلك إلى أنّ النبي اليشع، عليهِ السلام، الذي رافقَ النبي إلياس –عليه السلام– في رحلتهِ إلى نهرِ الأردن، ضرب مياه هذا النهر برداء النبي إلياس، ومن هذا المكان عبر كل من النبي إلياس والنبي اليشع نهر الأردن على أرضٍ جافة، كما أشارَ الحاج أبوت دانيال (Danil Abbot) إلى عبورِ القديسة مريم المصرية نهرِ الأردن لتلتقي على الحافةِ الشرقية من النهرِ بالراهبِ زوسيمس (Zosimus)، وهو راهب كان يقيم في كنائسِ يوحنا المعمدان شرقي نهر الأردن خلال القرن السادس الميلادي، ومن خلالِ الرجوعِ إلى كتاباتِ الرحالة أبوت دانيال (Abbot Danil) نجد أنهُ يُعطي وصفًا لنهرِ الأردن عند قوله: إنهُ كان سريع الجريان وشديد الانحدار، وإنّ الماء

كان مليئًا بالطمي لكنهُ مقبول للتذوقِ، ولا يستطيع أحد الشرب كثيرًا منه، وشربهُ لا يُلحق الضرر بالإنسان، والكلُّ يقدّسُ نهر الأردن، وهو عريضٌ وعميق ومتعرج وسريع الجريان، وقرب مكان العماد غابة تحتوي على الكثيرِ من الأشجار ونبات الصفصاف، وهنالك الكثير من القصب وجداول المياه، ويصفُ أبوت دانيال (Abbot Danil) كثرة الحيوانات المتوحشه قرب مكان المعموديه، مثل الخنازير البرية، والكثير من النمور والأسود، ويذكر أنّ المكان الذي صعدَ منهُ النبي إلياس للسماءِ بالعربةِ النارية ليس بعيدًا عن النهرِ، ويوجد في هذا المكان كهف النبي يوحنا المعمدان، وهنالك جدولٌ من الماءِ يتدفقُ فوق الحصى نحو نهر الأردن، ماؤهُ عذبٌ وبارد، كان يشرب منهُ النبي يوحنا المعمدان أثناء إقامتهُ بالكهفِ المقدَّس شرق نهر الأردن قبل مجيء السيّد المسيح. (Khusrau 1893: 28- 29)

الحاج المجهول (Anonymous pilgrim)

زارَ المنطقه ما بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلادي، يقول في الأردن: على بعدِ ثلاثةِ أميال من مدينةِ أريحا تعمَّدَ المسيح على يد النبي يوحنا المعمدان الذي كان يبشر بقدومِ المسيح، وفي نفسِ المكان هبط الروح القدس على هيئةِ حمامة، وفي نهر الأردن اغتسل القائد نعمان السوري غسلَ نفسهُ من مرضِ البرص سبع مرات، وكان نعمان السوري قائدًا للجيشِ الآرامي ومعاصرًا لفترةِ النبي اليشع؛ أي قبل مجيء المسيح عليهِ السلام (الملوك الثاني 5: 1- 27). (Anonymous 1894: 5)

إضافةً إلى كتاباتِ الحجاج والرحالة خلال العصر البيزنطي، نالَ موقع عُماد السيّد المسيح أهميةً كبيرةً في خارطةِ مأدبا الفسيفسائية، التي تعود للعصرِ البيزنطي ؛ حيث تُظهر هذهِ الخارطة الأماكن المسيحيَّة المقدَّسة، وتكمنُ الأهمية هنا في الجانب الشرقي لنهر الأردن؛ حيث المكان الذي تعمَّد فيه السيّد المسيح، عليهِ السلام، وتظهرُ أهمية الجانب الشرقي للأردن في خارطةِ فسيفساء مأدبا من خلالِ المساحة الفعلية المخصَّصة لعرضِ هذا الجانب، والقسم الأوسط من الخارطةِ مقسم لقسمين متساويين لكلٍّ من الضفةِ الشرقيةِ والضفةِ الغربية، ولسوءِ الحظ أنّ الجانب الشرقي قد احتفظ بأجزائهِ بنسبةٍ أقل من الجانبِ الغربي، فنسبة الجانب الشرقي تُعادل8% مُقارنةً بالجانبِ الغربي الذي تُعادل نسبتهُ 13%؛ حيث جرى وضع الكنيسة التي أمر الإمبراطور أنستاسيوس (Anastasius) ببنائها بين عامي (491- 518م) على خارطةِ الفسيفساء في مدينة مأدبا، وهي حاليًّا موجودة شرقي نهر الأردن في موقعِ عُماد السيّد المسيح، ووصفها الرحالة ثيودسيوس، ومنذ بداية القرن السادس الميلادي كان هنالك احتفالٌ كبير بمناسبةِ تعميد السيّد المسيح، وذلك في عيد الغطاس الذي يصادف السادس من يناير (كانون الثاني) من كلِ عام، وعلى خارطةِ مأدبا أيضًا في الجانب الشرقي من نهرِ الأردن رسمٌ لموقع كهف ونبع ماء ووادي الصفصاف والأسد الذي يُلاحق الغزال، وهذا المشهد يمثل بريَّة يوحنا المعمدان التي كانت تجري فيها طقوس الطهارة والتعميد شرقي نهر الأردن . (Piccirillo 1999: 121-123)

أهمية موقع عُماد السيّد المسيح

يقعُ موقع عُماد السيّد المسيح (المغطس) إلى الغربِ من قريتي الرامة والكفرين في لواءِ الشونة الجنوبية، وعلى الضفة الشرقية من نهرِ الأردن، ويبعد عن البحرِ الميت تسعة كيلو مترات شمالًا، وهو يُقابل مدينة أريحا، ويعتبر موقعًا مقدَّسًا للحجاجِ المسيحيين (مكجيان 2007: 43)

وقد زار العالمُ الفرنسي آبل (Abel) في عامِ 1932 ميلادي موقعَ عماد السيّد المسيح ووصفَ البقايا المعمارية

التي كانت على الجانب الشرقي من نهرِ الأردن، في منطقة وادي الخرار، وذكر تل النبي إلياس الذي يضم العديد من برك التعميد والطهارة ، ومرفقات من الكنائس والأديرة، إضافةً إلى خزانات المياة التي استُخدمت لغايات التعميد والطهارة، التي تعود إلى الفترة البيزنطية. (لوحة 2).(Abel 1932: 238)

ووصفَ آبل (Abel)، أبرزَ المعالم الواقعة شرق نهر الأردن والتاجيات الكورنثية التي عثر عليها قرب كنائس يوحنا المعمدان، التي اكتُشفت خلال التنقيبات الأثرية في موقع عُماد السيِّد المسيح ما بين عامي 1997– 2000 ميلادي) (Abel 1932: 250، كما مَسَحَ كلٌّ من خيري ياسين ومعاويه ابراهيم وجيمس ساورفي عامِ 1975 ميلادي المنطقةَ الواقعةَ شرقي وادي الأردن، والمنطقةَ الواقعةَ على مقربةٍ من نهرِ الأردن من الغور الشمالي حتى الغور الجنوبي والأوسط، كما مُسِحَ الجانبُ الشرقيُّ لنهرِ الأردن الواقع ضمن حدود قرية الكفرين الذي يضمُّ موقع وادي الخرار (المغطس)، وجرى تأريخ الفخار في هذهِ المواقع للعصور البرونزية والحديدية والرومانية والبيزنطية. (Ibrahim et.al. 1976: 44-66)

وفي عام 1997 ميلادي حَدَّدَ فريقٌ من دائرةِ الأثار العامه نبعَ ماءٍ جارٍ في وادٍ يُطلق عليه اسم وادي الخرار، كان الحجاجُ والمسافرون يرتادونَهُ ويطلقون عليه اسمَ نبع يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام)، وبناءً على الاكتشافاتِ الأثرية عُثِرَ خلال تنقيبات دائرة الآثار العامة، في الفتره الواقعة مابين عام 1997– 200 ميلادي، على العديدِ من البقايا المعمارية، التي أُرِّخت إلى الفترةِ الرومانية والبيزنطية، منذ بداية القرن الأول الميلادي حتى القرن السادس الميلادي، واستمر استخدام موقع عُماد السيِّد المسيح (المغطس) في العديد من العصورِ الإسلامية، مثل الفترة الأموية والعباسية والعثمانية، والدليل على ذلك العثور على كسر فخارية تعود لهذه الفترات. (Waheeb 2001 vol. 45: 419-425)

انظر لوحة (1)، ولوحة (2)، اللتين تمثلان خارطة المنشآت المائية والأديرة والكنائس الموجودة في موقع عُماد السيِّد المسيح.

أما كيفية جلب المياه إلى موقعِ عماد السيِّد المسيح فكانت عبر قنوات المياه المحفورة بالحجرِ الرملي والقنوات المبنية من الحجارةِ، انظر اللوحة (10)، و(11)؛ حيث عُثِرَ على حجارةٍ محلية مخلوطة بالطينِ لعملِ القنوات التي تملأ الأحواض، وخلال العصر الروماني والبيزنطي كان المياهُ تُجلَبٌ من مسافاتٍ بعيدةٍ؛ حيث يظهر امتداد القنوات الفخارية على مسافةِ 300 متر شرقي وادي الخرار، وتربط هذه القنوات تلَّ النبي إلياس بمصادرِ المياه القريبة الموجودة في منطقة وادي الكفرين والرامة، إضافةً إلى الينابيعِ الموجودة في موقعِ معمودية السيِّد المسيح، مثل نبع وادي الخرار، ونبع يوحنا المعمدان؛ حيثُ نلاحظ أنَّ المياه التي استُخدمت في ممارسةِ طقوس التعميد والطهارة تركزت في موقعين رئيسين؛ أولهما نبع الخرار الذي ينبع من تل النبي إلياس شرق موقع عماد السيِّد المسيح، وثانيهما نهر الأردن (اللوحة 1) الذي عُمِّدَ فيه السيِّد المسيح، إضافةً إلى ينابيعَ أخرى تقع شرق الموقع، مثل نبع عين سالم (اللوحة 12) والفوارة والحمام. (Wheeb and Al Gazawi 2015: 330)

إنَّ وجود النظام المائي في موقع عماد السيِّد المسيح يمثلُ فكرةً واضحةً حول المصادر المائيَّة المُستخدمة خلال الفترة المسيحيَّة المبكِّرة في منطقة شرقي نهر الأردن؛ حيثُ أسهمت مصادر المياه بشكلٍ كبيرٍ جدًّا في الاستيطانِ البشري؛ إذ اكتُشِفَت في العصر البيزنطي شبكةٌ مائيَّةٌ استُخدمتَ لغاياتِ التعميد والطهاره، ولتلبيةِ احتياجات الكنائس والأديرة من المياه، وخدمة الحُجّاج القادمين من القدسِ مرورًا بموقعِ عماد المسيح باتِّجاهِ جبل نيبو. (Wheeb and Al Gazawi 2015: 327)

وقد ذُكِرَ سابقًا أبرزُ الذين زاروا موقع عماد السيّد المسيح خلال العصر البيزنطي؛ حيث زارَه "العديدُ من الرَّحالة والحُجّاج"[7].

ثالثًا- منشآت طقوس التعميد والطهارة في موقع عماد السيّد المسيح في العصرِ البيزنطي

اعتمد البيزنطيون على مياهِ الأمطار والينابيع في أثناءِ إجراء طقوس التعميد والطهارة في موقعِ عُماد السيّد المسيح، كنبع عين نون، ونبع وادي الخرار؛ حيث كانت المياهُ تُجلَبُ من هذهِ المصادر الطبيعية من خلالِ قنوات المياه التي تملأ الخزانات وأحواض المياه، واستخدم السكانُ المحليون والحُجّاج القادمون من شتى البلدان الى موقع السيّد المسيح هذه المياه، وقد ذُكِرَتَ مصادرُ المياه الطبيعيَّة في الموقعِ في كتاباتِ العديدِ من الرَّحالة (Arculfus 1895 vol. III: 37-38)، فعلى سبيل المثال، يشيرُ الحاج دانيال (Abbot Danil) في عام (1107 م) إلى أنَّ نهر الأردن كان سريعَ الجريان وشديد الانحدار وأنَّ مياهَهُ كانت مليئة بالطَّمَم،، وهو نهرٌ عريضٌ وعميق ومتعرِّج، وبالقرب من مكانِ التعميد جدولٌ من الماءِ يتدفَّقُ نحو النهر فوقَ الحصى، وهو ذو مياه عذبةٍ وباردة، كان يشرب منها يوحنا المعمدان – الذي جاء قبل السيّد المسيح– في أثناءعيشهِ في الكهف المقدَّس. (Khusrau 1893: 29)

وقد وصف الرَّحالةُ كلود كوندر (Clude Conder) عام 1881م، وفليكس آبل (Flexi Abel) عامِ 1932م عينَ الخرار وكنيسة القوس، وزارا وادي الخرار ووصفا البقايا البيزنطية الواقعة شرقيَّه (اللوحة 2)، التي مورِسَت فيها طقوس التعميد، ووصفا خزان المياه ذا السقف المُقَبَّب. (Conder 1977: 185; Abel 1932: 238)

الأنظمة المائيَّة المرتبطة بطقوس التعميد والطهارة في موقع عُماد السيّد المسيح خلال العصر البيزنطي

1- حوض التعميد المُصَلَّب

يقع هذا الحوضُ أسفلَ كنيسة الرداء[8]، وقد جرى خلال التنقيبات الأثريَّة العثور على أربعِ قواعد بُنيت من الحجارةِ المشذَّبة، التي يُعتَقَدُ أنها أساساتٌ للكنيسةِ التي وصفها الرَّحالة آركالوف (Arculf)، وأطلق عليها اسم كنيسة الرداء، وَبُنِيَت أعلى الحوض المُصَلَّب الذي استُخدم لغاياتِ التعميد، ويحيط بزوايا هذا الحوض أربعُ قواعد تُمثِّلُ أساسات تلك الكنيسة، الغايةُ من بنائها حمايةُ الكنيسة من فيضانات النهر، وتقع هذه القواعدُ عند نهايةِ الدرج الرخامي الذي يقود

---

(7) هنالك العديد من الرَّحالة والحُجّاج الذين زاروا موقع عماد السيّد المسيح، مثل **القديسة هيلانة** (Saint Helena) أُمِّ الإمبراطور قسطنطين مؤسِّسِ الدولة البيزنطية، التي زارته ما بين (260 –340 ميلادي)؛ حيث لم تكن هناك منشآت معمارية في ذلك الوقت، وأدركت أهميَّة الجانب الشرقي من نهرِ الأردن، وطرحت فكرة بناء كنيسة ليوحنا المعمدان؛ حيث كان النبي يحيى، عليه السلام (يوحنا المعمدان) يُعمِّد، كما زارت **الراهبه سلفيا** (Silvia) موقعَ المغطس وجواره، وزاره **القديس جيرمو** (Jermo) سنة 404 ميلادي، لكنَّهُ لم يشرْ إلى وجودِ منشآت دينية، ويبدو أنها بُنيت فيما بعد، وزار الرَّحالة (Porocopius) هذا الموقع سنة 560 ميلادي ووصف دير يوحنا المعمدان، وهو شرقي نهر الأردن، ومن الرَّحالةِ الذين زاروا موقع المعموديَّة **أنطونيوس الشهيد** (Antoninus)، وذلك ما بين عامي 560 – 570 ميلادي، ووصف صليبًا من الخشبِ وعتبات من الرخامِ المقطوع، وهي موجودة حتى يومنا هذا، ومن الرَّحالة الذين زاروا الموقع **ويلبلاد** (Willbalad)، وكان ذلك في الفترةِ ما بين 721–727 ميلادي؛ حيث وصفَ كنيسة يوحنا المعمدان التي تقع على مقربةٍ من موقع عُماد السيّد المسيح، وآثارها ما تزال ماثلةً حتى يومنا هذا. (وهيب 2013: 193 – 219)

(8) **كنيسة الرداء :** تقع على حافة نهر الأردن، وهي كنيسةٌ صغيرةٌ مربَّعةُ الشكل وصفها الرحالة آركالوف قائلًا إنها قد بُنيت في المكانِ الذي وضع عليه السيّد المسيح رداءه، وأشارَ إلى أنَّها بُنيت على أربعِ عقودٍ من الحجارة فوق الماء الذي يجري أسفلها، وكانت محميَّةً بالجير المطفي، وبالقربِ من هذهِ الكنيسة يقعُ دير النبي يوحنا المعمدان المبني على حجارة مربَّعة الشكل. (Arculfus 1895 Vol III: 37-38)

إلى المكانِ الذي تعمَّد فيه السيّد المسيح، وهي متشابهةٌ في الشكلِ، وعلى الأجزاء السفليَّة للقاعدتين الشماليتين آثارٌ للعديدِ من الصُّلبان المحفورة على القصارةِ، (انظر اللوحة 3)، وهي تمثِّلُ القواعدَ الأربعة التي يُعتَقَدُ أنها أساسات الكنيسة الخامسة. (مكجيان 2007: 46)

وقد أُنشِئَ حوضُ التعميد المُصَلَّب في نقطةِ التقاء نهر الأردن مع نبع النبي يوحنا المعمدان؛ يحيى بن زكريا، عليهِ السلام، وَبُنِيَ على أطرافِه أربعُ قواعدَ صُمِّمت لحملِ كنيسة الرداء (انظر اللوحة 3)؛ حيث كانت المياهُ تجري أسفل قواعد الكنيسة، وجرى إنشاء هذا الحوض ليتشكَّلَ الماءُ بداخلهِ بشكلِ صليب. (Mkhjian 2014: 44-45).

2- أحواض تجميع المياه في تل النبي إلياس بالقربِ من موقعِ معمودية السيّد المسيح.

يضمُّ موقعُ تلِّ النبي إلياس ثلاثةَ أحواض لتجميع المياه، هي:

أ- الخزان الكبير

يعودُ هذا الخزان للقرنِ الخامس الميلادي، ويقع جنوب تل النبي إلياس، وتبلغُ أبعاده (8م × 6 م ×2 م)، أما سَعَتُهُ الإجماليةُ فتبلغُ (100م^3) (اللوحة 4)، وقد سُقِفَ بعقودٍ من الحجرِ، وَعُثِرَ في جدارِهِ الجنوبي الغربي على بقايا أرضيةٍ فسيفسائية، وكانت المياهُ تُجلَبُ إليه بوساطة نظام مائي مكوَّن من قنواتٍ فخارية تقعُ قُربَ قاعة الصلاة وكنيسة القوس، وهنالك أحواض لتصفيةِ الماء قبل وصولهِ إليه، وقد جرى حفرُهُ بالحجرِ الطباشيري، ويُعتبر أكبرَ خزان اكتُشِفَ في موقع عُماد السيّد المسيح؛ حيثُ استُخدِمَت في بناء أجزائه الداخلية حجارةٌ مقطوعة، كما غُطِّيت جدرانُهُ من الداخلِ بطبقةٍ كلسيةٍ ناعمة وسميكة في آنٍ؛ بُغيَةَ حماية مياهه من التَّسَرُّب، وَعُثِرَ داخلَهُ على فسيفساء أُرِّخت للفترةِ البيزنطية وحجارة مقطوعة مُتساقطة تمثِّلُ حجارةَ سقفه المُقبَّبِ؛ إذ سُقِفَ بها لحماية المياه من التلوُّث والتبخُّر، وقد استخدم السُّكانُ المحليون والرهبانُ مياهه لقضاء حاجاتهم. (Mkhjian 2014:29؛ الربيع 2002: 73)

ب - البئر الأجاصي

تعودُ هذه البئرُ للعصرِ البيزنطي، وتقع في الزاويةِ الشمالية الغربية لخزانِ الماء الكبير، ويبلغُ قطرُها (3،25 مترًا) أما عمقُها وَ(5،40 مترًا) وأما سعتُها فَ(45 م^3) (اللوحة 5). (Wheeb and Al Gazawi 2015: 332; Mkhjian 2014: 30).

ج- الأحواض الثلاث المستطيلة

تعودُ الغاية من إنشاءِ مثل هذه الأحواض إلى ارتباطها بممارساتِ طقوس التعميد والطهارة، وكذلك للحاجاتِ اليومية مثل الشرب، وقد استُخدِمت خلال العصر البيزنطي، وتقع في الحافةِ الشمالية لتلِ النبي إلياس، فالحوض الأول يقع أسفلَ المنحدر الجنوبي، أما الحوضان الآخران فيقعان على الحافةِ الشمالية لتلِ النبي إلياس، عليه السلام.

1. الحوض الأول (الجنوبي)

مستطيل الشكل، أبعادهُ (5،3م ×3،7 م)، ويضمُّ جدارُهُ الشرقي من الداخلِ درجًا يحتوي على أربعِ درجات من أصل تسعٍ بُنيت على طولِ الحوض من الجهةِ الشرقية، أما مادة بنائه فتتكوَّنُ من الحجارةِ المحلية (حجارة السيل)، وأما كيفيَّة وصولِ المياهِ إليه فكانت فعبرَ قناة مياه تقعُ جنوب البركة، وهي مدعومةٌ بأعمدةٍ حجرية، وقد تعرَّضت للدمارِ، وكان الحُجاجُ يستخدمون هذا الحوض لغاياتِ التعميد، وأُرِّخَ للقرنِ الثالث-الرابع الميلادي. (انظر اللوحة 6). (Wheeb 332

(and Al Gazawi 2015:

2. الحوض الثاني (الشمالي الغربي)

مربَّعُ الشكل، بُنِيَ من حجارةِ السيل، وأبعادُهُ (4،30 مترًا شمال جنوب و3،40 مترًا شرق غرب)، وقد استُخدِمت الحجارةُ المقطوعة بالزاويةِ الجنوبية الغربية في عمليَّة إنشائه؛ حيثُ أُضيفت في عصورٍ لاحقة، ورُبما استُخدِمت هذه الحجارةُ لعمل الدرج الذي يَصِلُ إلى أسفلِه، وهو حوضٌ استُخدِمَ خلال العصر البيزنطي المبكِّر (انظر اللوحة 6) . (Wheeb and Al Gazawi 2015: 332)

3. الحوض الثالث (الشمالي الشرقي)

أبعادُهُ (4،85 مترًا شمال جنوب، و2،5 مترًا شرق غرب)، عُثِرَ في أسفل أرضيته على بئر بعمق 12 مترًا، وقد أُرِّخَ للعصر الروماني المبكِّر– البيزنطي المتأخِّر (انظر اللوحة 7) و(اللوحة 8). (Wheeb and Al Gazawi 2015: 332).

د– البركة الكبيرة

تقع على بعدِ كيلو مترين عن تلِ النبي إلياس (اللوحة 1)، الذي يُعتبر من المواقع التاريخية الأثرية في موقع عُماد السيِّد المسيح، وهي على مقربةٍ من نهرِ الأردن، وقد بُنيت من الحجارةِ الضخمة التي جرت قصارتُها بمادَّة الجبص، وتبلغُ أبعادُها (25 مترًا طولًا و 15 مترًا عرضًا) (اللوحة 9)؛ حيث استُخدِمت من أجلِ تعميد أعداد كبيرةٍ من الناسِ خلال العصر البيزنطي، وهنالك قناةٌ تزوِّدُها بالماءِ بالقرب من نبع النبي يوحنا المعمدان، الذي يقع بالقرب من هذهِ البركة، وقد أُرِّخَت للعصر البيزنطي؛ القرنِ الخامس–السادس الميلادي. (Mkhjian 2014: 47) .

كما عُثِرَ في موقع عماد السيِّد المسيح على العديدِ من قنواتِ المياه، وهي على نوعين: بُنِيَ أوَّلُها من حجارةِ السيل الملساء، أما ثانيها فَحُفِرَ في الحجر الرملي، والغاية من هذهِ القنوات توصيلُ المياه من مصادرِها الطبيعية إلى خزاناتِ تجميعها وللبركِ التي كانت الغايةُ منها ممارسةَ طقوس التعميد والطهارة خلال العصر البيزنطي. (الربيع 2002: 55–56)

ويرى الباحث أنَّ جميع المواقع الدينية من كنائسَ وأديرةٍ في موقعِ عماد السيِّد المسيح قد انتشرت بالقربِ من مصادر المياه الطبيعية، مثل مياه نهر الأردن، ومياه نبع وادي الخرار، وهذا دليلٌ على أهميَّة المياه من أجلِ الاحتياجات اليومية و'جراء طقوس الطهارة والتعميد.

إنَّ موقع عُماد السيِّد المسيح يشكِّلُ أهميَّةً كبيرة على طريقِ الحّجِّ المسيحي، ويتَّضحُ ذلك من خلالِ وجود الأنظمة المائية وأماكن العبادة، مثل صوامع الرهبان وكهوفهم التي كانت تخدمُ الحُجّاجَ المسيحيين القادمين من أجلِ طقوس التعميد والطهارة خلال العصر البيزنطي (اللوحة 1).

موقع نبع عين سالم

هو من المواقعِ القريبة من موقعِ عُماد السيِّد المسيح؛ حيث كان الحُجّاجُ يمرون عبرَهُ في أثناء عبورهم نهرَ الأردن باتجاهِ جبل نيبو، وهو ثاني أهم الموقع بعد موقع معموديَّة السيِّد المسيح، (اللوحة 12)، ويقع على السفوح الغربية لمدينةِ مأدبا، ويحدُّهُ من الشمال وادي حسبان ومن الشرق جبل نيبو ومن الغرب موقع عماد السيِّد المسيح، ومساحتهُ خمسون دونمًا، ويعتبر اكتشافُهُ عالميًّا، وقد عَدَّهُ البيزنطيون مباركًا؛ حيثُ أقاموا فيهِ أبنيةً ومرافقَ وكنائسَ وقنواتِ ماء وأوجدوا

أبراجَ مراقبةٍ على امتدادِ طريقه الروماني، الذي يربط بلدة حسبان شرق نهر الأردن مع مدينة أريحا غربيَّه، وقد احتوت منطقة عين نون على العديدِ من الينابيعِ القريبة منها، مثل: نبع الفوارة، ونبع سارة، ونبع أُم جريس، واندفع الحُجّاجُ من أوروبا وآسيا لهذا النبعِ المبارك المقدَّس، وقالوا إنَّ من شربَ منهُ شفِيَ، وكانوا ينقلون ماءهُ إلى روسيا وأوروبا في قواريرَ للاستشفاء..(Waheeb 2016: 1366-1400)

وَذُكِرَ هذا نبعُ عين نون قرب ساليم في العهد الجديد "**وَكَانَ يُوحَنَّا أَيْضًا يُعَمِّدُ فِي عَيْنِ نُونٍ بِقُرْبِ سَالِيمَ؛ لأَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ مِيَاهٌ كَثِيرَةٌ، وَكَانُوا يَأْتُونَ وَيَعْتَمِدُونَ**". (يوحنا 3: 23) مانعكو

وزارت الحاجَّةُ إيجيريا (Egeria) هذا النبعَ في عام (381–384 م)، وقالت وفقًا للكتابِ المقدَّس: إنَّ يوحنا المعمدان كان يُعمِّدُ في هذا النبع المقدَّس، وكانت هنالك بركة، وعلى ما يبدو أنَّ النبي يوحنا المعمدان يمارس خدمتَهُ فيها، وكان يأتون إليه لهذا النبع الحُجّاجُ والرهبانُ وكهوف من شتى البلدان من أجل الاغتسال، وهنالك حمّاماتُ موسى في تل الحمام شمال عين سالم شرقي قرية الكفرين؛ حيث استحمَّ النبيُّ موسى، عليهِ السلام، في هذهِ المياه الدافئة، وفي ذلك الوقت كان يتمُّ التطهيرُ من البرصِ، ولا تزال بقايا العديد من القنواتِ الفخارية الرومانية ظاهرةً على السطحِ؛ وذلك لتجميعِ المياه من ينابيع عين سالم والفوارة وعين سارة من أجل طقوس الطهارة. (Waheeb 2016:1400-1401)

طرق التعميد خلال العصر البيزنطي

إنَّ الغاية من التعميدِ في المسيحيَّة طهارةٌ روحيَّةٌ بالمرتبةِ الأولى، والتوبة من الخطايا، وهي رمزٌ للقيامةِ من الموت، فلحظة دخول المُعمد للماءِ يكون قد مات ودُفن، ولحظة خروجه منه يكون قد قام مع المسيح، ورمز موت المعمد وقيامته مع المسيح يرتبطُ بتفسير أكثرَ حرفية هو أنَّ المؤمن يموت ويدفن بالمعموديَّة في أثناءِ عملية التغطيس في الماءِ؛ أي أنَّ المعمودية قبرٌ روحيٌّ يدفن فيه المؤمن ويقوم قيامة روحية عندما يخرج منه. (نجيب 1990: 90)

أما طُرق التعميد في القرونِ الأولى للمسيحيَّة فقد كانت المعمودية تشتمل على التغطيس والسكب والرش، وهي ترمز إلى حياة جديدة وإلى الانضمامِ للمسيح والكنيسة، وفي القرنِ الثاني للميلاد كانت هُنالك صيغ قانونية قبل القيام بتعميد الشخص، وذلك بطرح عِدَّة أسئلة، هي:

هل تؤمن بالله الأب القادر على كل شيء؟ وهل تؤمن بيسوع المسيح ابن الله الذي وُلد بالروح القدس من مريم العذراء، وَصُلِبَ ومات وقام حيًّا في اليوم الثالث وصعد إلى السماء، وجلس على يمين الأب، وسيأتي ليدين الأحياء والأموات، وهل تؤمن بالروح القدس والكنيسة المقدَّسة وقيامة الجسد؟ (نجيب 1990: 91)

وكانت ممارسةُ تعميدِ الشخصِ الأكثرُ شيوعًا في القرنِ الثالث الميلادي عن طريقِ تغطيسه ثلاث مرات أمام عامة الناس المؤمنين؛ إذ يُجَرَّدُ من ملابسِه كلِّها لتوضع في غرفة خاصَّة، ثم يدخلُ إلى غرفة المعمودية، وكان يشترط على النساءِ خلال طقوس التعميد ألّا يكون شعرُهُنَّ مربوطًا، وألّا يرتدين الحلي والمجوهرات، وكانت عملية التعميد تُنَفَّذُ مرَّةً واحدة، وكانت هنالك شهادات للأشخاص الذين يجري تعميدهم. .(Assmann and Stroumsa 1999: 397)

ومع نهاية القرن الرابع الميلادي كان الكهنة يفحصون المتقدِّمين للمعموديةِ بعناية، وكانت الكنائس تضمُّ أحواضًا كبيرة للتعميد، وكان الماءُ يُسكَبُ على الناس الذين يتعمَّدون، لكن لا يجري تغطيسهم بالكامل، ثم يخرجون ويُمسَحون بالزيت، ويلبسون ثيابًا بيضاء اللون، حتى يُرحِّبَ بهم المنتمون للكنيسة. (نجيب 1990: 91)

أما في الوقتِ الحالي ومن خلالِ مشاهدات الباحث فتجري طقوسُ التعميد في نهرِ الأردن مباشرةً، وفي بعضِ

الأحيان يجري التعميدُ في أحواضٍ حديثة أُنشئت خصيصًا لهذه الغاية، وهي على مقربة من نهرِ الأردن.

الخاتمة

وُجِدَت طقوسُ التعميد في الحضاراتِ القديمة؛ المصرية واليونانية والفينيقية، وكذلك في الديانةِ اليهودية، وديانة الصابئة أتباع النبي يوحنا المعمدان، عليهِ السلام، واستمرَّت خلالَ العصر البيزنطي باعتناقِ الإمبراطورية البيزنطية الديانة المسيحيَّة وَعَدِّها دينًا رسميًّا لها، والتعميد في المسيحيَّة يعني الطهارة ومسح الخطيئة الأولى، وهو يمنحُ الخلاصَ الأبدي والميلاد من جديد .

وتؤكِّدُ كتاباتُ الرَّحالة الذين زاروا موقع عُماد السيِّد المسيح خلال العصر البيزنطي أنَّ شرق نهر الأردن مثَّلَ فترةَ ازدهار لظاهرةِ التعميد، وخيرُ دليل على ذلك المكتشفاتُ الأثرية من أنظمةٍ مائية أُرِّخَت لذلك العصر، مثل: البرك والخزانات والآبار، التي أُنشئت لتخدم طقوس التعميد.

وقد مورست طقوسُ التعميد خلال العصر البيزنطي في مواقعَ عِدَّةٍ تقع بالقربِ من موقع عُماد السيِّد المسيح، مثل: موقع نبع عين نون، وهو موقعٌ مذكورٌ في العهد الجديد، وكتابات الحُجّاج مثل الحاجة إيجيريا **(Egeria)**، التي زارتَ شرق الأردن خلال العصر البيزنطي.

وتؤكِّدُ خارطةُ مأدبا الفسيفسائيةُ التي تعود للعصرِ البيزنطي وجودَ طقوس التعميد في العصر البيزنطي، وشاهدُ ذلك وجودُ موقع عُماد السيِّد المسيح من ضمن المواقع التاريخية التي احتوتها هذه الخارطة، وكذلك كتابات الرَّحالة المتأخِّرين خلال القرن التاسع عشر، أمثال كلود كوندر (Clude Conder)، والقرن العشرين، مثل فلكسي آبل (Flexi Abel)، التي أكَّدوا فيها أنَّ موقع عُماد السيِّد المسيح يقع شرقي نهر الأردن، وأشاروا إلى أنَّهُ يضمُّ العديدَ من الآثار التي تعودُ للعصر البيزنطي.

أما طرق التعميد خلال العصر البيزنطي فكانت إما بتغطيس الشخص الذي يُراد تعميدهُ بشكلٍ كامل في الماءِ ثلاثَ مرّات، أو عبرَ سكب الماء أو رشِّه على الشخص، وكان التعميد يجري مرَّةً واحدةً فقط في الحياة على العكس من طقوسِ المعمودية التي مورست قبل المسيحيَّة عند اليهود والصابئة أتباع النبي يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا، عليه السلام)؛ حيث كان التعميد عِدَّةَ مرّات.

اللوحات

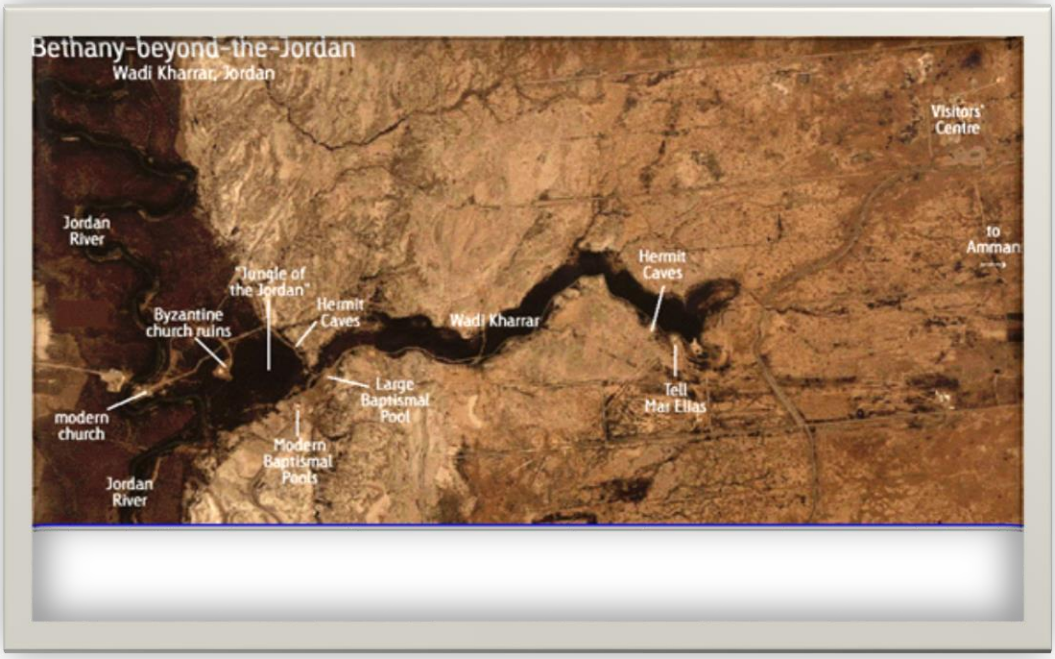

اللوحة (1): تمثل خارطة لموقعِ عُماد السيّد المسيح، يظهرُ فيها تلُّ مار إلياس الذي يحتوي على أحواضٍ خُصِّصت لغايات التعميد، كما يظهر نبعُ وادي الخرار الذي استُخدِمَ لغايات التعميد والطهارة، وكذلك بركة التعميد الكبيرة التي تعود للفترةِ البيزنطية، كما يظهر نهر الأردن الذي مُورست فيهِ طقوسُ التعميد منذ القرن الأول الميلادي حتى يومنا هذا، إضافةً إلى الكنائسِ القديمة والحديثة الموجودة في الموقع.(Mkhjian 2014:18)

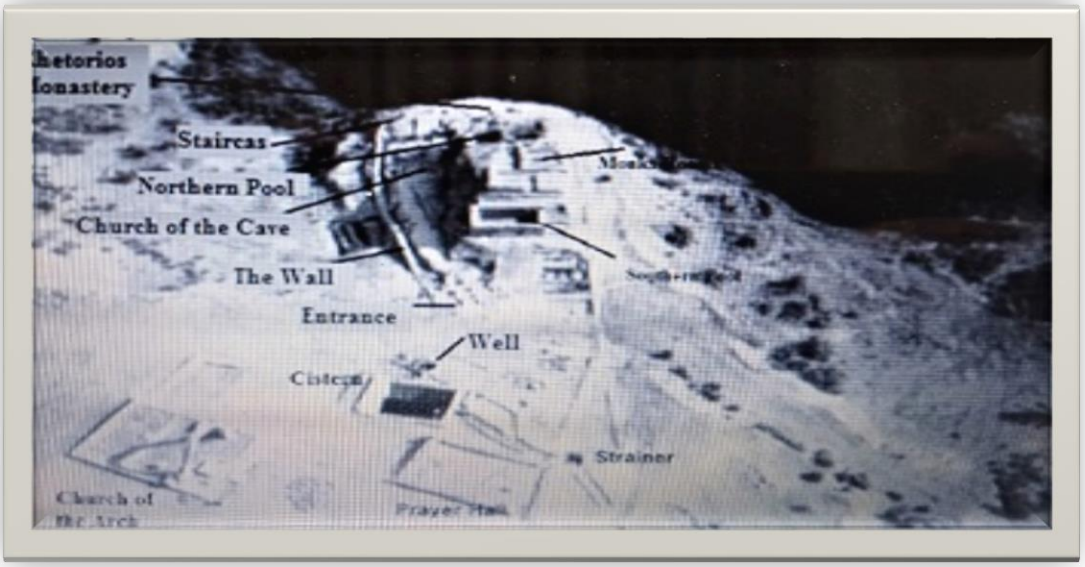

اللوحة (2): تظهرُ النظام المائيَّ الذي كان يُستخدَم في طقوسِ التعميد والطهارة، الذي يشمل خزاناتِ التعميد وأحواضَه؛ حيث يظهر في الصورةِ خزانُ ماء والبركة الشمالية والبركة الجنوبية، إضافة إلى بئرِ الماء، وقد أُزِخَت هذه البقايا للفترةِ البيزنطية، كما يظهرُ في الصورة ديرروتوريوس، والكنائس البيزنطية، والصورة من موقع تل مار إلياس أحد المواقع الأثرية المهمَّة في موقع عُماد السيّد المسيح (المغطس). (Mkhjian 2014:18)

اللوحة (3): تمثِّلُ قواعدَ كنيسة الرداء، أسفلها حوض التعميد المُصَلَّب. (تصوير الباحثة)

اللوحة 4: الخزان الكبير لتجميع المياه من أجل الحاجات اليومية وطقوس التعميد والطهارة، وقد أُرِّخَ للقرنِ الخامس الميلادي. (تصوير الباحثة)

اللوحة (5): تمثل البئرَ الأسطوانيَّة، التي تعود للعصر البيزنطي؛ تل النبي إلياس. (تصوير الباحثة)

اللوحة (6): تمثِّلُ الحوضَ الأوَّلَ الجنوبي؛ المُؤرَّخِ للقرن الثالث – الرابع الميلاديين. (تصوير الباحثة)

اللوحة (7): تمثِّلُ الحوضَ الثاني الواقع في الجهة الشمالية الغربية لتل النبي إلياس، وقد أُرِّخَ للعصر البيزنطي. (تصوير الباحثة)

اللوحة (8): بئر ماء في أرضيَّةِ الحوض الشمالي الشرقي، أُرِّخَت للعصر الروماني المبكِّر – البيزنطي المتأخِّر. (تصوير الباحثة)

اللوحة (9): تمثِّلُ البركةَ الكبيرة التي تعود للعصرِ البيزنطي، وَأُرِّخَت للقرنين الخامس – السادس الميلاديين. (تصوير الباحثة)

اللوحة (10): تمثِّلُ إحدى قنوات المياه الحجرية؛ تل النبي إلياس، التي أُرِّخَت للعصرِ البيزنطي. (تصوير الباحثة)

اللوحة (11): تمثِّلُ جزءًا من قنوات المياه المحفورة في الحجرِ الرملي؛ موقع تل النبي إلياس، وقد أُرِّخَت للعصرِ البيزنطي. (تصوير الباحثة)

اللوحة (12): توضِّحُ نبعَ عين سالم، التي كان تجري فيها طقوس التعميد والطهارة خلال العصر البيزنطي[9]

(9) Waheeb mohammed ; Mahmoud Abdull Aziz " The Disccovery of Aenon Saleem near Site of Jesus Baptism, In: Journal " International Journal of Advanced Researach " ، 2018 ، p 1404

Rites of Purification and Baptism at the Site of the Baptism of Jesus Christ during the Byzantine Period

Nour Mohammad Nouri Ziyadat [1]

ABSTRACT

This study presents the meaning and purpose of baptism by highlighting the places where baptism and purification were practiced in the Byzantine Period at the site of the Baptism of Jesus Christ, on the east bank of the Jordan River. The article identifies natural springs where baptism and purification rites were practiced, such as the Ainon Spring, and also the architectural structures of basins and wells to collect water. The purpose of its design was to conduct a baptism rite for those who wanted to convert to the Christian religion. The article also defines the rite of baptism linguistically and idiomatically, and presents the accounts of historians and travellers that dealt with the baptism sites during the Byzantine period.

Keywords: *Baptism Site, Byzantine Period, Jordan, Travel Accounts, Ainon Spring.*

[1] The Department of History, School of Arts, The University of Jordan, Jordan.
noor.ziadat@yahoo.com

Received on 15/5/2023 and accepted for publication on 8/11/2023.

المصادر والمراجع العربية

الكتاب المقدس.

ابن منظور، محمد بن مكرم جمال الدين (ت 711هـ/ 1311م)(د.ت)؛ *لسان العرب*، ج33، القاهرة: دار المعارف.

حلاق، محمد صبحي أبو مصعب (2007)؛ *الإيضاحات العصريَّة للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعيَّة*، صنعاء: مكتبة الجيل الجديد، ط.1.

الربيع، هديل (2002)؛ *تقنية النظام المائي في وادي الخرار خلال العصر البيزنطي*. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار، كليَّة السياحة والآثار، الجامعة الأردنيَّة، المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة.

الزبيدي، محمد المرتضى الحسيني (ت 1205هـ/ 1790م) (1994)؛ *تاج العروس من جواهر القاموس*، ج5، تحقيق علي شيري، بيروت: دار الفكر، ط.1.

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت 756هـ/ 1355 م)(1996)؛ *عمدة الحُفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ*، ج3، تحقيق محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ط.1.

السيِّد، مها (د.ت)؛ *الآلهة والأساطير اليونانيَّة*، مصر: مكتبة المهتدين الإسلاميَّة.

سيرنج، فيليب (1992)؛ *كتاب الرموز في الفن الأديان الحياة*، ترجمة عبد الهادي عباس، دمشق: دار دمشق، ط.1.

العيثاوي، خالد أحمد حسين (2019)؛ "سر التعميد بين الطوائف المسيحيَّة: دراسة وصفية". *مجلَّة كليَّة العلوم الإسلاميَّة*، مج 1، ع 59، ص426-446.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت 170هـ/ 786م) (2002)؛ *كتاب معجم العين*، تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ط.1.

كامل، صموئيل وثلاسينوس، أرتيمس (1990)؛ *قاموس عربي يوناني*، بيروت: مكتبة لبنان.

لوثر، مارتن (1983)؛ *أصول التعليم المسيحي الكتافيسمس الصغير*، ترجمة المركز اللوثري للخدمات الدينيَّة في الشرق الأوسط، بيروت: المركز اللوثري للخدمات الدينيَّة في الشرق الأوسط.

مجمع الكنائس الشرقيَّة (1981)؛ *قاموس الكتاب المقدَّس*، بيروت: مكتبة المشغل، ط.6.

محمود، يحيى (2022)؛ "ديونيسيوس كإله للعالم الآخر: دراسة مقارنة مع أوزير". *مجلَّة مركز الدراسات البرديَّة*، مج 39، ع 1، ص. 579-608.

مكجيان، رستم (2007)؛ "المغطس". *حوليَّة دائرة الآثار العامَّة*، مج 51، ص 43-50.

نجيب، مكرم (1990)؛ *المعموديَّة بين المفهوم والممارسة*، القاهرة: دار الثقافة والنشر والتوزيع، ط.1.

وهيب، محمد (2013)؛ *اكتشاف موقع عماد السيِّد المسيح/ المغطس (تل مار إلياس)*، عمان: وزارة الثقافة، ط1.

وهيب، محمد (2016)؛ "اكتشاف موقع عين سالم أهم موقع بعد عماد السيِّد المسيح". جريدة الغد، نُشِرَت في 11/ 6/ 2016.

REFERENCES

Abel, Felix (1932); "Exploration Du Sud –est De La Vallée Du Jordain". *Revue Biblique*, vol. 40, Pp.: 237-257.

Anonymous (1894); "Anonymous Pilgrims, I-VIII (11th and 12th Centuries)". *Palestine Pilgrims Text Society*, Vol. VI, Aubrey Stewart tran., London: Palestine Pilgrims' Text Society.

Arculfus, Adamnan (1895); "The Pilgrimage of Arculfus in the Holy Land (About the Year A.D. 670) ". In: *Palestine Pilgrims Text Society*, Vol III, James Rose Macpherson tran., London: Palestine Pilgrims' Text Society.

Assmann, Jan and Stroumsa, Guy G. (1999); "Studies in the History Of Religions Numen Book Series". In: Transformations Of The Inner Self in Ancient Religions, vol. 99, Leiden: Brill, Pp.: 439-440.

Conder, Claude (1877); "Bethany Beyond Jordan". *Palestine Exploration Quarterly*, vol. 9, issue 4, Pp.: 184-187.

al-Farāhidī, al-Khalil ibn Aḥmad (d. 170A.H./ 786 A.D.) (2002); *kitāb Mu'gam al-'Ayīn*, 'Abd al-Ḥamīd Hindāwī ed., Beirūt: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah. 1st ed.

Ibn Manẓoūr, Muḥammad ibn Makram Jamāl el-Dīn (d. 711 A.H./1311 A.d.); *Lisān al-'Arab*, vol. 33, Cairo: Dār al-Ma'āref.

Ibrahim, Moawiyah; Sauer, James and Yasin, Khair (1976); "The East Jordan Valley Survey 1975". *Bulletin of the American Schools of Oriental Research*, no. 222, Pp.: 41-66.

Khusrau, Nasir (1893a); "The Pilgrimage of Saewulf 1047 A.D", In: Palestine Pilgrims Text Society, Translated From Persian And Annotated By Guy Le Strange, London, Hanover Square.

Khusrau, Nasir (1893b); "Pilgrimage of The Russian Abbot Danie" In Diary Of A Journey Through Syria and Palestine", Translated By Guy Le Strange In (Palestine Pilgrims Text Socity , New York. pp 28-29.

Mkhjian, Rustom (2014); " Nominatin Of The Baptism Site Bethany Beyond The Jordan Al-Maghtas", Amman.

Moschos, John (1992); "The Spiritual Meadow Partum Spiritual". *Cistercian Studies Series*, vol. 139, John Wortley Trans., Collegeville: Liturgical Press.

Nashmi, Alaa (1998); al-Masbuta Mandean Baptism, Iraq: Dar al-Rifai.

Piccirillo.m. Alliata Eugenio.(1999); *The Madaba Map centenary, 1897-1997: Travelling Through the Byzantine Umayyad period = al-Dhikrá al-Mi'awīyah li-kharīṭat Mādabā: khilāla al-'aṣr al-Umawaī al-Bīzanṭī,* Proceedings of The International Conference Held in Amman 7-9 April 1999, Collectio maior, 40, Jerusalem :studim Biblicum Franciscanum.

Theodosius, Saint, Bishop of Lyons (1890); "The Epitome of S. Euchrius about Certain Holy Places (Circ. A.D. 440), and the Breviary or Short Description of Jerusalem (Ciris A.D. 530)". *Palestine Pilgrims Text Society*, Aubrey Stewart tran., London: Adam street.

Waheeb, Mohammed (2001); "Recent Discoveries East Of Jordan River, Wadi al–Kharrar Archaeological Project Preliminary Report". *ADAJ*, vol. 45, Pp.: 419-425.

Waheeb, Mohammed and Al Gazawi, Raed (2015); "Ancient Water System In Tel Mar Elyas During The Byzantine Period: A Study". Journal of Human Ecology, vol. 49, no. Pp.: 327-333.

Waheeb, Mohammed and Mahmoud, AbdullAziz (2018); "The Discovery of Aenon (Saleem) near Site of Jesus Baptism". *International Journal of Advanced Research* (IJAR), vol.6, no. 2, Pp: 139-1411. Web site https://www.researchgate.net/publication/351979649_THE_DISCOVERY_OF_AENON_SALEEMNEAR_SITE_OF_JESUS_BAPTISM

al-Zubaīdī, Muḥammed al-Murtaḍā al-Ḥusaīnī (d. 1205 A.H./ 1790 A.D.) (1994); *Tāj al-'Aroūs min Jawāhir al-Qāmoūs*, vol. 5, 'Alī Shīrī ed., Beirūt: Dār al-Fikr, 1st ed.